متى تراك عيني بقية الله - الحلقة الأولى

الجمعة: 17/6/2016م ــ 11 شهر رمضان 1437هـ

* بداية حديثي من كتاب [الغَيبة للشيخ النعماني]

● (عن يحيى عن عبدالله، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: يا يحيى مَن بات ليلة لا يعرف فيها إمام زمانه مات ميتة جاهلية).

من هنا أبدأ معكم فيما بقي من شهر الصيام.

* قد يقول قائل: أنّ مُراد الحديث: مَن بات ليلة لا يعرف فيها إمام زمانه ومات في تلك الليلة، فإنّه يموت ميتة جاهليّة. ربّما يصدق هذا الاحتمال.. ولكن تركيب الحديث لا يُساعد على هذا المعنى.

* هناك شيء واضح في هذا الحديث:

● هناك معرفة لإمام زماننا.

● وهناك ميتة جاهليّة.

فلا المعرفة بدرجة واحدة، ولا الميتة أيضاً بدرجة واحدة ؛ لأنّ هذه الميتة ميتة جاهليّة، والجاهليّة ليست بدرجة واحدة. فهناك درجات كثيرة للمعرفة تُقابلها درجات كثيرة للميتة الجاهليّة.

* جاء في أحاديثهم الشريفة: من ارتكب معصيّة جليّة فقد جزء من عقله لا يعود إليه أبداً ! ومَن بات ليلة يغطّ في جهله العميق بعيداً عن إمامه فإنّه يزداد جاهليّة ! كلّما خسر الإنسان مِن معرفته المهدويّة، وكلّما غاب عنه جزء مِن معرفته المهدويّة، فإنّه سينالُ حظّاً من ميتة جاهليّة ! والجاهليّة هنا: جهلٌ وجهالة، وفارقٌ بين الجهل والجهالة. الجهل في مواجهة العلم والمعرفة، وأمّا الجهالة فهي في مواجهة العقل والفهم والحكمة.

* قوله تعالى {أوَ مَن كان ميتاً فأحييناهُ وجعلنا لهُ نُوراً يمشي به في الناس كمَن مثله في الظلمات ليس بخارج منها}. هذا الميت هو الذي لا يعرفُ إمامه، والميتة الجاهلية هي ميتة هذا الميت. وأمّا النور فهو نور معرفة إمام زماننا صلوات الله عليه.

* نحن مُقبلون على ليلة هي خيرٌ من ألف شهر، وفي كلّ شهر 30 ليلة.. فيكون في ألف شهر 30 ألف ليلة. خيرٌ من ألف شهر .. يعني خيرٌ من 30 ألف ليلة. إنّها (ليلة القدر). فمَن بات في تلك الليلة لا يعرف فيها إمام زمانه فإنّه سيموت ميتة جاهليّة.

* هذا الذي يبيت ليلة القدر لا يعرفُ فيها إمام زمانه سيموت ميتة في ليلة ستكون عليه شرٌ من 30 ألف ليلة ! ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر تكون للذي يبيت وهو عارف بإمام زمانه.. أمّا الذي يبيت وهو لا يعرف إمام زمانه فإنّ ليلة القدر ستكون وبالاً عليه وشرّاً عليه مِن 30 ألف ليلة !

* مقطع من خطبة خاتم الأنبياء في آخر جمعة من شهر شعبان: أيّها الناس: إنّه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيّامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل اللّيالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله)

● هذه اللّيالي هي أفضل اللّيالي، وليلة القدر هي سيّدة اللّيالي.

فَمن بات ليلة من هذه اللّيالي غير عارف بإمام زمانه، مات ميتة جاهليّة.

فنحن في ليالي هي أفضل اللّيالي، ونُقبل على ليلة هي سيّدة الليالي، وهناك دعوة موجّهة إلينا.. قطعاً هذه الدعوة موجّة إلينا من إمام زماننا عليه السلام.. ومأدبة الله هي مأدبة الحجّة بن الحسن. (فمن والاه فقد والى الله، ومن عاداه فقد عادى الله، ومن أحبّه فقد أحبّ الله، ومَن أبغضه فقد أبغض الله، ومَن اعتصم به فقد اعتصم بالله..)

* مأدبة الله هي مأدبة الحجّة بن الحسن، ونحن مدعوّون إلى هذه المأدبة.. هل نعرف العنوان حتّى نتوجّه إلى هذه المأدبة؟ هل نمتلك بطاقة الدعوة ؟ هل وصلت إلينا ؟

حينما لا نمتلك العنوان فإننا نفقد عنواننا .. وإذا فقدنا عنواننا فإنّ بطاقة الدعوة لن تصل إلينا !

بطاقة الدعوة مربوطة بعنواننا، وعنواننا مربوط بمعرفة بإمام زماننا.

* روايات أهل البيت تُحدّثنا أنّه في يوم القيامة لا يجوز أحد على الصراط مالم يكن عنده صكٌ من علي (بطاقة). الصكوك العلوية هي المُنجية في الآخرة. المأدبة الإلهيّة هي بحاجة إلى بطاقة، وبطاقة الدعوة عنوانها الأوّل والأخير، ظاهرها وباطنها، بدايتها ونهايتها: معرفة الحجّة بن الحسن.

* ليالي شهر الصيام مائدة لإمام زماننا صلوات الله عليه. وليلة القدر دعوة خاصّة يُوجّهها إمام زماننا لعارفيه (ومَن بات ليلة لا يعرف فيها إمام زمانه مات ميتة جاهليّة). وحذارِ أن تكون تلك الليلة هي ليلة القدر !

* في ليلة القدر تُقدّر الأرزاق .. وسيّد الأرزاق (ولاءُ إمام زماننا عليه السلام).

أيّ رزقٍ أجلّ مِن ولاء إمام زماننا، ومِن معرفة إمام زماننا، ومِن الإخلاص لإمام زماننا، ومِن الكون في فناء إمام زماننا، ومِن السير في ركاب إمام زماننا صلوات الله عليه ؟!

* نحن في هذه اللّيالي على مائدة الحجّة بن الحسن، ومائدة الحجّة بن الحسن مائدة الكتاب والعترة.

في هذه الحلقات نحاول أن نقترب مِن هذه المائدة ونمدّ أيادينا إلى إمام زماننا أن يُوفّقنا للجلوس على مائدته الكريمة، أن يوفّقنا أن نستطيب مطاعمه ومشاربه الطاهرة المُطهّرة.

* وقفة عند الرواية التي مراراً وكراراً أردّدها، ولطالما سمعها منّي مَن يُتابع برامجي، وهي حديث إمامنا السجاد عليه السلام مع أبي خالد الكابلي في [كمال الدين وتمام النعمة]: (يا أبا خالد .. إنّ أهل زمان غيبته، القائلين بإمامته، المنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان، لأنّ الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغَيبة عندهم بمنزلة المُشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله بالسيف، أولئك المُخلصون حقّاً، وشيعتنا صِدْقاً، والدعاة إلى دين الله عزّ وجلّ سرّاً وجهراً، وقال علي بن الحسين صلوات الله عليهما: انتظار الفرج من أعظم الفرج). انتظار الفرج مِن أعظم الفرج إذا كان بهذا المضمون: أن صارت الغَيبة عند المُنتظرين بمنزلة المُشاهدة، حينئذٍ سيكون انتظار الفرج من أعظم الفرج.

* في حلقات هذا البرنامج سيكون الحديث في أجواء هذه السطور التي تلوتها عليكم من حديث الإمام السجاد مع أبي خالد الكابلي.

(هذه السطور تُشكّل برنامجاً مُتكاملاً، كي تكون علاقتنا بإمام زماننا في زمان غَيبته وفي هذا المقطع من الزمان بالنحو الذي يُريده هو، وبالنحو الذي نكون قد وفينا لإمامنا بعهد الولاية والإمامة.

* أمرٌ مهم جدّاً يُشكّل مقدمة للحديث في أجواء هذه الرواية وهو:

● هناك من الشيعة مَن يرى أنّ العلاقة بإمام زماننا صلوات الله عليه تتلخّص في الذهاب إلى مسجد السهلة، وأن يُواظب على الحضور 40 ليلة جمعة، أو 40 ليلة أربعاء .. وأن يُواظب على طقوس وأعمال وأدعية معيّنة.. وربّما يذهب البعض إلى مسجد الكوفة، وآخرون للحرم الحسيني، وآخرون إلى سامرّاء، وآخرون إلى مسجد جمكران.. وفي كلّ مكان من هذه الأماكن المُشرّفة طقوس مخصوصة يعرفها الذين يتذوّقون هذا الأسلوب في التعامل والتواصل مع إمام زماننا.

● وهناك مَن يبحث عن دعاء أو عمل أو ختم.. كي يرى إمامه في عالم الرؤيا.

● وهناك مَن يتوجّه إلى مسألة العُزلة والأربعينيات، والسبعينيات التي يعرفها أصحاب السلوك والرياضات، علّه ينال مُكاشفة أو مُعاينة أو مُشاهدة - بحسب اصطلاحاتهم - يرى فيها إمام زمانه، أو يرى شيئاً يدور في فناء إمام زمانه.

● وهناك مِن الشيعة مَن يرى ما يقوم به مِن دفع الصدقات أو دفع الذبائح والقرابين لدفع البلاء عن إمامنا، ويُواظب على الأذكار والأدعية التي ترتبط بهذا الخصوص.

كلّ هذه الأمور لا يستطيع أحد أن يصفها بوصف بعيد عن ساحة إمام زماننا، ولكنّها تبقى في الحاشية.

متن البرنامج المهدوي في هذه الكلمات الشريفة لإمامنا السجاد عليه السلام مع أبي خالد الكابلي.

وللأسف هذا البرنامج لم يُطبّق في الساحة الشيعية، وذلك لافتقادها للثقافة المهدوية الأصيلة، وللوعي المهدوي الراقي.

* مائدة الحجّة بن الحسن برنامجها: الكتاب والعترة. النورية في كلامهم (كلامكم نور) وكلامهم هو القرآن وحديث العترة. هذا هو المنطق المهدوي الواضح والصريح.

* إمامنا السجاد يتحدّث عن أهل زمان الغَيبة القائلين بإمامة الإمام الحجّة والمُنتظرين لظهوره، الإمام يقول عنهم أنّهم أفضل أهل كلّ زمان .. لماذا؟ لأنّ الله تعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت عندهم الغَيبة بمنزلة المُشاهدة.

* المشكلة الأساس في علاقتنا مع إمام زماننا عليه السلام هي مُشكلة (اضطراب الأولويات)

* قول الإمام السجاد عليه السلام (لأنّ الله تعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت عندهم الغَيبة بمنزلة المُشاهدة)

هناك عقول، وأفهام، ومعرفة.

أمّا العقول هنا: فالحديث عن عقول مُنضبطة بضوابط أهل البيت عليهم السلام، ومُتأصّلة بأصولهم.

الحديث هنا عن العقول التي اكتسبت بناءها من أصول أهل البيت.. وقطعاً هذه الأصول لا تتعارض مع الأصول التي بُني عليها العقل الحجّة.

* مَن يذهب إلى مأدبة الى بيت شريف له منزلة ومقام محترم بين الناس.. سيُفكّر في نوع لباسه، وسيختار ثياب تُناسب تلك الدعوة.

الثوب الذي يحتاجه المدعو إلى مائدة الحجّة بن الحسن في هذه اللّيالي هو (الصوم).

السؤال هنا: ماذا نعرف عن صومنا ؟ هل الصوم الذي نصومه يتناسب مع هذه المأدبة ؟!

* مرور سريع على نماذج من حديث العترة وهم يُحدّثون الناس بلسان (المُداراة) عن الحكمة من الصيام.

■ حديث الإمام الصادق مع هشام بن الحكم في وسائل الشيعة: ج7: (عن هشام بن الحكم، أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن علّة الصيام؟ فقال: إنّما فرض الله الصيام ليستوي به الغني والفقير، وذلك أنّ الغني لم يكن ليجد مسّ الجوع فيرحم الفقير، لأنّ الغني كلّما أراد شيئاً قدر عليه، فأراد الله تعالى أن يسوّي بين خلقه، وأن يُذيق الغني من الجوع والألم ليرقّ على الضعيف ويرحم الجائع)

إذا كانت القضيّة والحكمة من الصيّام هي حتّى يشعر الغني بجوع الفقير.. فلماذا يصوم الفقير إذاً وهو أساساً جائع ؟! وهذا يكشف أنّ هذا المعنى الذي ورد في الرواية هو من المعاني التي تقع في الحاشية.. تماماً كطقوس مسجد السهلة وجمكران.

■ رواية الإمام الرضا عليه السلام (علّة الصوم لعرفان مسّ الجوع والعطش، ليكون العبد ذليلاً مُستكيناً مأجوراً مُحتسباً صابراً، ويكون ذلك دليلاً له على شدائد الآخرة مع ما فيه من الإنكسار له عن الشهوات، واعظاً له في العاجل، دليلاً على الآجل، ليعلم شدّة مبلغ ذلك من أهل الفقر والمسكنة في الدنيا والآخرة)

هذه الرواية تتحدّث أنّ الصوم شُرّع حتّى يستشعر الإنسان ما يجري في شدائد الآخرة.. لو فرضنا أنّ إنساناً لا يستشعر ذلك، فهل أنّ الصوم لا يُشرّع هنا ؟! هذا المعنى أيضاً في الحاشية.

■ رواية أخرى عن الإمام الرضا عليه السلام (إنّما أُمروا بالصوم لكي يعرفوا ألم الجوع والعطش، فيستدلّوا على فقر الآخرة، وليكون الصائم خاشعاً ذليلاً مُستكيناً مأجوراً مُحتسباً عارفاً صابراً على ما أصابه من الجوع والعطش، فيستوجب الثواب مع ما فيه من الإمساك عن الشهوات، ويكون ذلك واعظاً لهم في العاجل ورائضاً لهم على أداء ما كلّفهم، ودليلاً لهم في الآجل، وليعرفوا شدّة مبلغ ذلك على أهل الفقر والمسكنة في الدنيا فيؤدوا إليهم ما افترض الله لهم في أموالهم)

معنى الصوم في هذه الرواية هي أن يستشعر الغني جوع الفقير، ويصوم الصائم كي يستشعر شدائد يوم القيامة، ويصوم الصائم كي يعرف ماذا يجري على أهل الفقر والمسكنة إن كانوا في الدنيا من أهل الفقر للمال، أو كانوا في الآخرة من أهل الفقر للعمل الصالح.

■ رواية الإمام الصادق عليه السلام (لكلّ شيء زكاة، وزكاة الأجساد الصيام)
فنحن نصوم كي نُطهّر هذه الأجساد من آثامها، وزكاة الأجساد الصيام.

■ حديث الإمام الصادق عليه السلام في [مصباح الشريعة] في تفصيل معنى (كون الصيام زكاة الأجساد)
(قال الصادق: قال النبي "صلّى الله عليه وآله وسلّم": الصوم جُنّة - أي وقاية - من آفات الدنيا وحجاب من عذاب الآخرة، فإذا صُمت فانوِ بصومك كفّ النفس عن الشهوات، وقطع الهمّة عن خطوات الشيطان والشياطين، وأنزل نفسك منزلة المرضى لا تشتهى طعاماً و لا شراباً وتوقّع في كلّ لحظة شفاك مِن مرض الذنوب، وطهّر باطنك مِن كلّ كذْب وكَدَر وغفْلة وظُلمة يقطعُك عن معنى الإخلاص لوجه الله تعالى، قيل لبعضهم: إنّك ضعيف و إنّ الصيام يُضعفك. قال إنّي أعده بشرّ يوم طويل والصبر على طاعة الله أهون مِن الصبر على عذابه،
وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم:
قال تعالى: الصوم لي وأنا أجزى به. والصوم يُميت مُراد النفس وشهوة الطمع وفيه صفاء القلب وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن والشكر على النعم، والإحسان إلى الفقراء، وزيادة التضرع والخشوع والبكاء وجلُّ الالتجاء الله تعالى، وسبب انكسار الهمّة وتخفيف السيئات وتضعيف الحسنات، وفيه من الفوائد ما لا يُحصى وكفى بما ذكرناه منه لمَن عَقَله ووُفّق لاستعماله إن شاء تعالى)
هذا شرح وبيان لمعنى أنّ الصيام زكاة للجسد.
كلّ هذه المعاني معاني جميلة، ولكنّها تقع في الحاشية من معاني الصوم.

* سؤال أسأله لنفسي ولكم:
هذه المعاني التي قُلت بأنّها تقع على الحاشية في معنى الصوم.. هل حقّقناها في أنفسنا وفي صيامنا؟!
الواقع يقول: كلا..! فإذا كانت حواشي المعاني لم تتحقق في حياتنا، فما بالك بمعاني المتن أو مُتون المعاني؟!

* وقفة عند الصيام الزهرائي تُحدّثنا عنه الزهراء عليها السلام في خُطبتها الشريفة
تقول عليها السلام (فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكِبْر، والزكاة تزكية للنفس، ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص) هذا هو المعنى الزهرائي للصيام.. وهذا هو متن المعاني، وكلّ المعاني الأخرى تقعُ في الحاشية.
الصيام الزهرائي: أنّنا نصوم كي نُثبّت إخلاصنا.

* كيف نُثبّت إخلاصنا ؟ في دعاء الندبة الشريف تعريف واضح للإخلاص.
دعاء الندبة يُقسّم الناس إلى قسمين بلحاظ إمام زماننا عليه السلام .. فنحن هكذا نُخاطبه (أين مُعزّ الأولياء ومُذلّ الأعداء) فهناك مجموعة الأولياء ومجموعة الأعداء.
الأولياء هم أصحاب الإخلاص، وإنّما يُعِزُّهم لإخلاصهم.. فالإخلاص هو سبب عِزّهم .. وعلامتهم موجودة أيضاً في دعاء الندبة: الأولياء المخلصون هم الذين يتوجّهون إلى وجه الله الأعظم: إلى إمام زماننا عليه السلام.
فمِن أي مجموعة نحنُ (من الأولياء - من الأعداء - من النظّارة)؟!

* إذا كنّا نزعم أننا من الأولياء الذين يُعزّهم الإمام بإخلاصهم، بولايتهم، فهل ينطبق عليهم هذا الوصف: أنّنا نتوجّه إلى وجه الله؟! الصوم في كلمات الزهراء تثبيتاً للإخلاص .. فهل نتعامل مع صومنا بهذا الفهم؟ إذا كنّا ندّعي أننا زهرائيون .. هذا هو الصيام الزهرائي.

* إن كنتم تبحثون عن وسيلة آمنة للجوء إلى إمام زماننا عليه السلام، توجّهوا إلى قمر الهاشميين قمر الهاشميين بوّابتنا إلى الحسين، بوّابتنا إلى أهل البيت، بوّابتنا إلى إمام زماننا، توجّهوا بصدق في أيّ مكان كُنتم .. إننا نعتقد أنّه يسمع كلامنا و يردّ سلامنا ويشهد مقامنا. توجّهوا إليه مِن أي أرض، واستعينوا بمدّه ومدده واستعينوا بلطفه وفيضه..

توجّهوا إليه بقلوبكم، ودموعكم، وصدق وجدانكم، وبإخلاصكم في توسّلكم، والعكوف والمكوث عند أعتابه الشريفة (الإخلاص هو هذا: أين وجه الله الذي إليه يتوجّه الأولياء). ووجه الله هو إمام زماننا عليه السلام. فنحن نستعين بالصيام تثبيتاً لهذا الإخلاص.

* الصيام هو حبس النفس وكبح الجماح .. الصوم في حقيقته بهذا المعنى (أن يكون تثبيتاً للإخلاص) لن يتحقّق مالم يكن صوماً عقلياً وصوماً وجدانياً عاطفياً.. فضلاً عن الصوم الجسدي الطقوسي.. فالصوم عن الطعام والشراب صوم طقوسي، ولذا تحدّث عنه الأئمة بلسان المداراة.. وحين أقول بلسان المُدارة: لا يعني أن المنافع التي تحدّثوا عنها ليست موجودة.. هي موجودة ولكنّها تقع في الحاشية
والقاعدة تقول (حسنات الأبرار سيّئات المُقرّبين)

* الصوم بهذا المعنى (والصيام تثبيتاً للاخلاص) هو كبح جماح العقل، وكبح جماح الوجدان، وكبح جماح القلب.. بعبارة موجزة ومُختصرة: الصيام عن غير إمام زماننا (صيام الأغيار). صيام العقل، وصيام القلب .. فالعقل والقلب إمّا أن يستمدّ محتواه من مائدة إمام زماننا (مائدة الكتاب والعترة) وإمّا أن يستمدّ محتواه من مائدة أخرى لا علاقة لها بإمام زماننا. من أراد أن يُطهّر قلبه وعقله عليه أن يُكسّر الأصنام.. الصوم هي الحقيقة هو تكسير الأصنام. فالصوم الزهرائي هو لتثبيت الإخلاص .. والإخلاص لا يُثبّت إلّا بتكسير الأصنام بكلّ أشكالها (صنم الأنا، صنم الدنيا، صنم الدين - ذاك الذي تنصبه بينك وبين الله دون الحجّة و تصدّقه في كلّ ما قال وتدعو الناس إلى قوله وهذا أخطر الأصنام
فالصوم هو كبح جماح العقل والقلب عن الأصنام - بكلّ أشكالها - وإلّا كيف يكون الصوم تثبيتاً للاخلاص؟!

* {وقالوا لا تذرنَّ آلهتكم ولا تذرنَّ وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا } هؤلاء رموز صالحون، ولكنّ العقول المُختلّة صنعت لهم أصناماً وعبدوا الأصنام.